الفصل الثاني

إسلامه وهجرته

كانت قبيلة دَوْس وثنيةً مشركةً تعبد الأصنام كغيرها من قبائل العرب، وكان الدَّوسيون يعبدون صنماً يسمى «ذا الخَلَصَة»، وقد جاء ذكره في كتب السنة؛ فعن سعيد بن المسيِّب قال: (أخبرني أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَضْطرِبَ أَلَياتُ نساءِ دَوْسٍ على ذِي الخَلَصةِ»، وذو الخَلَصة: طاغيةُ دَوْسٍ التي كانوا يَعْبُدون في الجاهلية)[1].

وقد أكرم الله قبيلة دوس بما امتنَّ به على العرب عموماً بأن وصلت أخبار الإسلام إلى ديارهم، وجاء إلى مكة الطُّفيل بن عَمْرو الدَّوسي، وكان سيداً شريفاً مطاعاً في قومه، وشاعراً لبيباً فطناً، وساقَتْه الأقدارُ إلى المسجد الحرام، وحاول كُبراء قريش صدَّه عن الحق، لكن الله أراد له الخير، فأسلم بين يدي النبي ﷺ قبل الهجرة، وعاد إلى قومه مبلِّغاً

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٦) ـ واللفظ له ـ؛ ومسلم (٢٩٠٦)؛ وأحمد (٧٦٧٧)؛ وابن حبان (٦٧٤٩)، وغيرهم.

وداعياً، فأسلم أبوه وزوجته، وأبطأتْ عليه قبيلته، فجاء إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يدعو عليها، فما كان من النبي الكريم ﷺ إلا أن رفع يديه وقال: «اللَّهم اهْدِ دَوْساً وائْتِ بهم»، وعاد الطُّفيل إلى قومه، يدعوهم إلى الإسلام من جديد، ومكث فيهم حتى السنة السابعة للهجرة، حيث قدِم بمن أَسْلم من قومه، ونزلوا المدينة في سبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس، فوجدوا الرسول ﷺ قد خرج لفتح خيبر، فلحقوا به إليها.

إسلام أبي هريرة:

اختُلف في سنة إسلامه: فقيل: أسلم مبكِّراً على يدي الطُّفيل بن عَمْرو الدَّوسي، وعُمدة القائلين بذلك رواية ساقها ابن الكَلْبي.

وقال آخرون: أَسلم سنة سبع عام غزوة خَيْبر، وهو الصحيح كما سنبيِّنه.

قال الحافظ في «الإصابة»: (وذكر أبو الفَرج الأصبهاني من طريق ابن الكَلْبي أن الطُّفيل لمَّا قدِم مكة، ذَكَر له ناسٌ من قريش أَمر النبي ﷺ، وسألوه أن يختبر حالَه، فأتاه فأنشده من شعره، فتلا النبي ﷺ الإخلاص والمعوذتين، فأسلم في الحال، وعاد إلى قومه، وذكر قصة سَوْطه ونوره، قال: فدعا أبويه إلى الإسلام، فأسلم أبوه، ولم تُسلم أمه، ودعا قومه فأجابه أبو هريرة وحده)[1].

---

(١) الإصابة: ٢/ ٢١٧، ترجمة الطفيل.

وذكر معنى ذلك في «الفتح» عن هشام بن الكَلْبي أيضاً، وقال: (وهذا يدل على تقدُّم إسلامه)[1].

وعلى هذا مشى العلامة عبد الرحمن المُعَلِّمي، والدكتور مصطفى السِّباعي، ومحمد محمد السماحي، والدكتور محمد عَجَاج الخطيب، وعبد المنعم صالح العلي.

والقصة مروية من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي أحد المتروكين كأبيه، وجماهير الأئمة والنقاد على أن أبا هريرة أسلم سنة سبع من الهجرة، ويؤيد ذلك ظاهر رواية البخاري في خبر هجرته:

عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قَيْس بن أبي حازم (عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لما أَقبل يريد الإسلام، ومعه غلامُه، ضَلَّ كل واحد منهما من صاحبه...) الحديث.

وفي رواية عن إسماعيل، عن قيس قال: (لمَّا أقبل أبو هريرة رضي الله عنه، ومعه غلامُه، وهو يطلب الإسلام، فأضلَّ أحدُهما صاحبه)[2].

قال الحافظ: (قوله (لما أقبل يريد الإسلام): ظاهره أنه لم يكن

---

(١) الفتح: ٨/ ١٠٢؛ شرح الحديث (٤٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٣٠ ـ ٢٥٣٢)؛ وانظر الحديث بتمامه مع تخريجه، ص٦٣ حاشية (١).

أسلم بعد)[1].

قلت: وكذا قوله: (وهو يطلب الإسلام).

وقيس بن أبي حازم قائل ذلك من أكابر تلاميذ أبي هريرة، وهو في الثقة مثل الأسطوانة.

قال عَمْرو بن علي: (نزل المدينة، وكان مقدمُه وإسلامُه عام خيبر، وكانت خيبر في المحرم سنة سبع)[2]. وإليه ذهب خليفة بن خيَّاط، وابن حِبَّان، وأبو نعيم الأصبهاني، وابن عبد البر، والسَّمعاني، وابن الجوزي، وابن الأثير، والذهبي، وابن كثير، وابن الجزري، والحافظ ابن حجر[3]، وقال النووي: (أبو هريرة رضي الله عنه متأخِّر الإسلام، أَسلم عام خيبر سنة سبع بالاتفاق)[4].

وهذا هو الراجح إن شاء الله، ويؤيد ذلك أنه يُستبعد من أبي هريرة

---

(١) الفتح: ٥/ ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) تهذيب الكمال: ٣٤/ ٣٧٧.

(٣) تاريخ خليفة، ص٨٦؛ صحيح ابن حبان: ٦/ ٢٦ حديث (٢٢٤٩)؛ مشاهير علماء الأمصار، ص٣٥؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣١٢ ـ ٣١٣؛ الاستيعاب: ٤/ ٢٠٦؛ الأنساب: ٥/ ٣٦٣؛ المنتظم: ٥/ ٣١٤؛ أسد الغابة: ٥/ ٣١٦؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٨٦؛ البداية والنهاية: ٨/ ١١٣؛ غاية النهاية: ١/ ٣٧٠؛ الفتح: ١/ ٥٣٦، ٥/ ١٦٢ ـ ١٦٣، ٦/ ٢٧١.

(٤) شرح مسلم: ١/ ٢٥٨.

أن يُسْلم قبل الهجرة، ويبقى نحو عشر سنين في بلده، ولا نسمع له صوتاً ولا خبراً، ويبقى إلى سنة سبع دون أن يهاجر إلى النبي ﷺ ويبايعه، وقد عَلِمنا من سيرته تَفَتُّح قلبه ورغبتَه العارمة في صحبة رسول الله ﷺ وملازمته، وتحصيل العلم الشريف منه.

وأيضاً في قصة إسلام أمِّه نرى حِرْصَه الشديدَ على دعوتها إلى الإسلام ونبذ الشرك، فكيف يصبر عليها ـ لو أنه أسلم قديماً ـ هذه المدة الطويلة، ويتركها على وثنيَّتها حتى يُهاجر بها إلى المدينة؟ في حين نرى إلحاحه آنذاك في دعوتها وطلبه من النبي ﷺ أن يدعو لها بالهداية، فأين كان هذا الحرص طيلة عشر سنوات تقريباً إن كان أبو هريرة أسلم مبكِّراً؟!.

وكذلك في قولُ أبي هريرة: (لمَّا أسلمتُ أتيتُ رسول الله ﷺ، فقال لي: «ممَّن أنت؟» قلت من دَوْس...)[1]، دليلٌ آخر على إسراعِه إلى لقاء النبي ﷺ لمبايعته ومصاحبته، ولا يُعقل أن يكون أَسلَم قديماً وبقي كل تلك السنين دون أن يُهاجر إلى رسول الله ﷺ ويشارك في غزواته ومشاهده ويلازم مجالسه، فسيرة أبي هريرة تأبى أن يَبْدر منه ذلك. والله أعلم.

قصة هجرته:

روى إسماعيل بن أبي خالد، عن قَيْس بن أبي حازم، عن أبي هريرة

---

(١) مرَّ في ص٣٥.

رضي الله عنه قال: (لمَّا قَدِمتُ على النبي ﷺ، قلت في الطريق:

يـاليلـةً مـن طـولهـا وعَنَـائِهـا على أنَّها من دارَةِ الكُفْرِ نَجَّتِ

قال: وأَبَقَ منِّي غلامٌ لي في الطريق، قال: فلما قَدِمتُ على النبي ﷺ فبايعتُـه، فبينـا أنا عنده، إذ طَلَع الغلامُ، فقال لي رسـول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، هذا غلامُك»، فقلت: هو حرٌّ لوجهِ الله، فأعْتَقْتُه)[1].

وقال عفان بن مُسْلم: حدثنا وُهَيب، حدثنا خُثَيْم ـ يعني ابن عِرَاك ـ عن أبيه: (أن أبا هريرة قَدِمَ المدينة في رَهْط من قومه، والنبي ﷺ بِخَيْبَر، وقد استخلَف سِبَاع بن عُرْفُطَة على المدينة، قال: فانتهيتُ إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بـ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وفي الثانية: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، وقال: فقلت في نفسي: ويلٌ لفلانٍ[2]، إذا اكتال اكتالَ بالوافي، وإذا كالَ كالَ بالناقص. قال: فلما صلَّى زوَّدنا شيئاً حتى أتينا خيبر، وقد افتتح النبي ﷺ خيبر. قال: فكلَّم المسلمين، فأَشْرَكونا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٣١) ـ واللفظ له ـ؛ وأحمد (٧٨٤٥)؛ وابن سعد: ٤/ ٣٢٥ـ٣٢٦؛ وأبو نعيم في الحلية: ١/ ٣٧٩.

(٢) هكذا في المسند، وعند ابن عساكر: (ويلٌ لأبي فُلّ)، أي ويل لأبي فلان، وعند الفسوي: (لأبي فيل)، تحريف، ووقع في سير أعلام النبلاء: (ويل لأبي! قَلَّ رجلٌ كان بأرض الأزد...) وهو تحريف قَلَب المعنى فعمَّ الذمُّ أكثرَ الأزْد! ونقلها الدكتور محمد عجاج الخطيب، ص٨٦ محرفة هكذا على أنها رواية ثانية!.

في سِهَامهم)[1].

وفي رواية: قال أبو هريرة: (فلما فَرَغْنا من صلاتنا، قال قائلٌ: رسولُ الله ﷺ بخيبر، وهو قادِمٌ عليكم، فقلت: لا أَسمعُ به في مكان أبداً إلا جئتُـه. فزوَّدَنا سِباعُ بن عُرْفُطة وحَمَلَنا، حتى جئنـا خيبرَ، فنجدُ رسول الله ﷺ قد فَتَح النَّطَاة، وهو محاصِر الكَتيبة، فأقمنا حتى فَتَح الله علينا)[2].

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال: (قَدِمْنا على النبي ﷺ بعد أن افتتح خيبرَ، فقَسَم لنا، ولم يَقْسِم لأحدٍ لم يَشْهدِ الفتحَ غيرنا)[3].

وذكر الحافظ في شرح هذا الحديث حديثَ أبي هريرة في صلاته خَلْف سِباع بن عُرْفُطة، وقولـه: (فزوَّدنا شيئاً حتى أتينـا خيبرَ، وقد

---

(١) أخرجه أحمد (٨٥٥٢) ـ واللفظ له ـ؛ وابن سعد: ٤/ ٣٢٥، ٣٢٧ ـ ٣٢٨؛ والشافعي في السنن المأثورة (٨٣)؛ والفسوي: ٢/ ٧٣٩، ٧٤٠، ٣/ ١٦٠؛ وابن خزيمة (١٠٣٩)؛ وابن حبان (٧١٥٦)؛ والحاكم: ٢/ ٣٣؛ والبيهقي في السنـن: ٢/ ٣٦٣؛ ودلائـل النبـوة: ٤/ ١٩٨ ـ ١٩٩؛ وابـن عسـاكـر: ٦٧/ ٣١٧؛ وذكره الذهبي في السير: ٢/ ٥٨٩، وصححه شعيب الأرناؤوط في المسند وصحيح ابن حبان.

(٢) سبل الهدى والرشاد: ٥/ ٢١٢. و«النطاة» و«الكتيبة»: من حصون خيبر.

(٣) البخاري (٤٢٣٣)؛ ومسلم (٢٥٠٢).

افتتحها النبي ﷺ، فكلَّم المسلمين فأشرَكونا في سهامهم)، ثم قال: (ويُجمع بين هذا وبين الحصر الذي في حديث أبي موسى الذي قبله أن أبا موسى أراد أنه لم يُسْهِم لأحدٍ لم يشهد الوقعة من غير استرضاء أحدٍ من الغانمين إلا لأصحاب السفينة، وأما أبو هريرة وأصحابُه فلم يُعْطِهم إلا عن طيب خواطر المسلمين)[1].

فهذا يؤيد أن النبي ﷺ أَسْهَم لأبي هريرة ومن معه.

قال عَمْرو بن علي الفَلاّس: (كان مقدَمُه عام خيبر، وكانت في المحرَّم سنة سبع)[2].

وروى خُثَيْم بن عِراك بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: (خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر وقدِمْتُ المدينة مهاجراً)[3].

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عُمر الواقِديُّ، قال: حدَّثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه قال: (قَدِمَ أبو هريرة سنة سبع والنبي ﷺ بخيبر، فسار إلى خيبر، حتى قدِم مع النبي ﷺ إلى المدينة)[4].

وقال الحُميدي: (حدثنا سفيان بن عُيَيْنة، حدثنا الزهريُّ قال:

---

(١) الفتح: ٧/ ٤٨٩.
(٢) الإصابة: ٤/ ٢٠٤.
(٣) ابن عساكر: ٦٧/ ٣١٦.
(٤) طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٢٧؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣١٦.

أخبرني عَنْبَسة بن سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو بخيبرَ بعدما افتتحوها، فقلت: يا رسول الله أَسْهِم لي، فقال بعضُ بني سعيد بن العاص[1]: لا تُسْهِمْ له يا رسولَ الله، فقال أبو هريرة: هذا قاتل ابنِ قَوْقَلٍ، فقال ابن سعيد بن العاص(١): واعَجَباً لِوَبْر تدلَّى علينا من قَدُوم ضَأْنٌ، ينعَى عليَّ قتلَ رجلٍ مسلمٍ أكرمَهُ الله على يديَّ ولم يُهِنِّي على يديه. قال[2]: فلا أدري أَسْهَمَ له أم لم يُسْهِم له)[3].

وعلَّقه البخاري، عن الزُّبيدي، عن الزهريِّ قال: (أخبرني عَنْبَسة ابن سعيد أنه سمع أبا هريرة يُخْبِر سعيد بن العاص قال: بعث رسولُ الله ﷺ أبانَ على سَريَّة من المدينة قِبل نَجْدٍ، قال أبو هريرة: فقدِم أبانُ وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها وإن حُزَمَ خيلهم لَلِيفٌ، قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، لا تَقْسِم لهم، قال أبان: وأنتَ بهذا

---

(١) هو أبان بن سعيد بن العاص بن أمية. انظر الفتح: ٦/ ٣٩، ٤١، حديث (٢٨٢٧)، ٧/ ٤٩١ حديث (٤٢٣٧ ـ ٤٢٣٩).

(٢) القائل هو ابن عيينة، بيَّنَتْه رواية الحُميدي في مسنده (١١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢٧) ـ واللفظ له ـ؛ والحميدي (١١٠٩)؛ وأبو داود (٢٧٢٣، ٢٧٢٤)؛ والفسوي: ٢/ ٧٣٨. وابن قَوْقَل: هو النعمان بن مالك ابن ثعلبة الأنصاري الأوسي، استشهد يوم أُحد بيد أبان بن سعيد، فأكرمه الله بالشهادة، ولم يُقتل أبَان على كُفْره، بل عاش حتى تاب، وأسلم قبل خيبر بعد الحديبية. والوبر: دابة صغيرة كالسِّنَّور وحشية. وقدوم ضأن: قدوم: أي طرف، وضأن: هو رأس الجبل، وهو جبل لدوس قوم أبي هريرة.

يا وَبْرُ تحدَّرَ من رأس ضَأْن! فقال النبي ﷺ: «يا أبانُ اجلِسْ». فلم يَقْسِم لهم)[1].

وبالتأمل في هاتين الروايتين نجد أنه لم يثبت أن النبي ﷺ لم يُسْهِم لأبي هريرة في الرواية الأولى، وتردَّد ابن عُيَيْنة فلم يدرِ أأسهم له رسول الله ﷺ أم لا، بينما جاء التصريح في الرواية الثانية أنه ﷺ لم يَقْسم لأبانَ وأصحابه. وقد قدَّمنا حديث أبي هريرة: (فكلَّم المسلمين، فأشركونا في سهامهم)، فهذا يدل على أن النبي ﷺ قد أَسْهَم لأبي هريرة ومن معه عن طيب خواطر المسلمين.

هذه بدايات حياة أبي هريرة الجديدة، بعد أن فارق بلده، وخَلَع الشرك الذي كان فيه، وهاجر إلى الله راغباً، ودخل في دينه طائعاً، وصلى الفجر في المدينة وراء أميرها، وسارع للَّحاق برسول الله ﷺ، فرحب به، وأَكرم وِفادته وأَسْهَم له من غنائم خيبر، فكان من المهاجرين إلى الله ورسوله ﷺ، وانتقل نقلة بعيدة، وارتقى مرتقىً رفيعاً، حيث عاش في رحاب النبوة، فلنتابع هذا الفصل الجديد من حياته.

* * *

---

(١) البخاري (٤٢٣٨). وهذه الطريق وصلها أبو داود (٢٧٢٣)؛ وأبو نعيم في المستخرج. انظر الفتح: ٧/ ٤٩١.